المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فهناك حقيقتان ساطعتان فى قلب كل مسلم:

الأولى: أن سيدنا محمدا ﷺ أوتى القرآن ومثله معه.

الثانية: أن سيدنا محمدا ﷺ أوتى جوامع الكلم.

فالسنة النبوية المطهرة هى الحكمة التى نطق بها رسول الله ﷺ بيانا للقرآن المجيد، وبلاغا عن الله عز وجل فى أحكامه وحِكَمه، وهى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى..

وقد قام بالبحث فى السنة والتحرى عنها أئمة أعلام قدموا لنا علما جديدا هو «مصطلح الحديث» أو «علوم الحديث»، وهو نمط فريد وجهد رائع وخاصة من خصائص الفكر الإسلامى، فلا يعرف تحقيق السند والإسناد إلا فى مجتمع المسلمين.

ولقد حظيت السنة النبوية بشروح كثيرة وتصنيفات يصعب حصرها، ومؤلفات فى كل زمان ومكان..

وها نحن أولاء نقدم أيسر البيان فى شرح الحكمة النبوية، وجاء هذا الكتاب – بتوفيق الله تعالى – على قسمين:

الأول: فى الأحاديث القدسية وقد اخترنا ثلاثين حديثا.

الثانى: فى الأحاديث النبوية وقد اخترنا ستين حديثا.

وذلك فى إطار الإيمان والأخلاق، والتربية والحضارة، والحب والتعاون، وقيم الحق والخير.. من خلال وقفة خاشعة أمام جوهر الحكمة النبوية مباشرة..

وقدمنا تمهيدا حول كتابة الحديث النبوى، والفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى، وموقف السنة من القرآن..

والله تعالى أسأل أن ينفعنا بالكتاب والحكمة استجابة لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام:

obeikandl.com

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة / ١٢٩)

د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة – جامعة الأزهر بالقاهرة

obeikandl.com

تمهيد

- كتابة السنة
- السنة مع القرآن
- الفرق بين القرآن والحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

كتابة السنة

السنة النبوية هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، لأن النبى ﷺ هو المبلغ لوحى ربه، المبين له، قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

وقال عليه الصلاة والسلام «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وقال «خذوا عنى مناسككم».

وقد اهتم الصحابة بالسلوك والاقتداء بالنبى ﷺ، وأسعفتهم الذاكرة النقية، فاكتفوا بالجانب التطبيقى نظرا لما ورد من نهى عن كتابة شىء بجوار النص القرآنى خشية أن يلتبس بالقرآن الكريم، فقال عليه الصلاة والسلام – كما فى صحيح مسلم –: «لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن، ومن كتب شيئا فليمحه».

ويتبين من هذا النص أن الكتابة للحديث كانت موجودة ولكن بندرة وعلى تفرق، وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة قال: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب »..

وظل الأمر هكذا حتى جاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عام تسعة وتسعين للهجرة فرأى جمع الأحاديث والسنة وتدوينها تدوينا عاما، واستكتب العلماء لهذه المهمة، ومنهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى (١٢٤هـ).

وساق الإمام الذهبى فى ترجمته ما يلى:

● سمع الزهرى أهل الشام يقولون: قال رسول الله، وقال رسول الله ﷺ فقال: يا أهل الشام مالى أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولا خُطُم؟! فتمسكوا بالأسانيد من يومئذ.

● قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدا أنصّ للحديث من الزهرى وما رأيت أحدا أهون عنده الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر.

● قال الإمام مالك: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ولقد أدركت فى المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينا، فما أخذت منهم شيئا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا الزهرى وهو شاب فنزدحم على بابه.

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

● قال الزهرى: إياك وغلول الكتب، قالوا: وما غلولها؟ قال: حبسها[1].

ولقد نشطت حركة التدوين فى القرن الثانى للهجرة وكان من أبرز علمائها الإمام مالك ابن أنس المتوفى ١٧٩هـ، ووصفه ابن عيينة بأنه حجة زمانه، وقال عنه الشافعى: إذا ذكر العلماء فمالك النجم..

ومن أهم الكتب فى هذا القرن موطأ الإمام مالك، وتحكى الروايات أنه لما حج المنصور دعا مالكا فدخل عليه فقال له: عزمت أن آمر بكتبك هذه – يعنى الموطأ – فتنسخ نسخا ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإنى رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم.

فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال أبو جعفر المنصور: لعمرى لو طاوعتنى لأمرت بذلك[2]..

وقد عد الإمام مالك نشر العلم وكتابة الحديث والفقه من أفضل أعمال البر، وساق الإمام الذهبى فى سيره أن عبد الله العُمرى العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك:

إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فُتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم، وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصوم، وآخر فتح له فى الجهاد.

فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لى فيه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

***

وجاء القرن الثالث الهجرى ليوصف بأنه العصر الذهبى لتدوين الحديث وجمعه، وظهر الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ والذى وصف بأنه الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا، قال عنه شيخه الشافعى:

خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد ابن حنبل.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٥ ص ٣٢٦ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٨ ص ٧٨.

وأثنى شخص على أحمد بن حنبل فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرا، فظهر الغضب والغم على وجه أحمد بن حنبل وقال للرجل:

بل جزى الله الإسلام عنى خيرا، من أنا؟ وما أنا؟

وصنف الإمام أحمد كتابه «المسند» وهو ثلاثون ألف حديث انتقاه من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفا[1].

وقد جمعت هذه الكتب بين الصحيح والحسن والضعيف إلى أن جاء الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. المولود ببخارى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة والمتوفى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين..

وصنف كتابا فى الصحيح المجرد سماه «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه».

وجملة ما فى صحيح البخارى سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالمكررة، وبحذف الأحاديث المكررة يبقى أربعة آلاف حديث.

وفعل الشيء نفسه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا، النيسابورى بلدا، والمولود سنة ست ومائتين، والمتوفى فى شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين، وكتابه «الجامع الصحيح» يحوى اثنى عشر ألف حديث بالمكررة ونحو أربعة آلاف حديث بإسقاط المكررة.. وكتابا البخارى ومسلم هما أصح الكتب بعد القرآن العظيم وقد تلقتهما الأمة بالقبول..

إلا أن هذين الكتابين لم يستوعبا الصحيح فتوالت الكتب بعد ذلك وعادت سيرتها الأولى فى الجمع بين الصحيح والحسن والضعيف، ومنها:

سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى ٢٧٥هـ.

وجامع أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى ٢٧٩هـ.

وسنن أبى عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى المتوفى ٣٠٣هـ.

وسنن أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى المتوفى ٢٧٣هـ.

وتوالت المصنفات الحديثية بمناهج فى التدوين شتى وظهرت مؤلفات تحاول استيعاب الأحاديث من خلال الكتب السابقة فاشتهر أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى المتوفى ٣٦٠هـ بمعاجمه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير..

وجاء الحافظ السيوطى المتوفى ٩١١ هـ وقدم كتابه «جمع الجوامع» وهذبه المتقى الهندى المتوفى ٩٧٥ هـ فى كتابه «كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال».

---

(١) راجع سير أعلام النبلاء جـ ١١ ص ١٧٧.

ومازالت عملية التدوين والجرح والتعديل والشرح والتحليل قائمة على قدم وساق حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وفى أيامنا هذه قام الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانى الشامى المتوفى (٢٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ) بجهد ضخم فى خدمة السنة وقدّم سلسلة الأحاديث الصحيحة وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

السنة مع القرآن

السنة النبوية هى البيان المحمدى للقرآن الكريم، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر/٧)

وقال جل شأنه:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل/٤٤)

وكان رسول الله ﷺ النموذج الأمثل لتطبيق القرآن المجيد، ولهذا قال «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وقال «خذوا عنى مناسككم».

وهكذا فى تفاصيل الطهارة والصيام والزكاة وكافة أحكام الشريعة..

لكنْ هناك أحكام استقلت بها السنة وتفردت بها، كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، ففى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: نهى النبى ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، والمرأة على خالتها.

واتفق العلماء على هذا الحكم ولم يشذ إلا طائفة من الخوارج والشيعة، وهذه الأحاديث تخصص عموم القرآن فى قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾[1].

وحرمت السنة النبوية أكل كل ذى ناب من السباع، وجاء فى صحيح البخارى بسنده عن أبى ثعلبة ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع..

والعمل بذلك عند أكثر أهل العلم، ولا يتعارض ذلك مع الآية الكريمة:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: آية (٢٤).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٤٥).

لأن الآية وردت فى بهيمة الأنعام التى حرمها العرب على أنفسهم من غير سند شرعى وهى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى، وقرن بالميتة والدم المسفوح – لحم الخنزير لكونه رجسًا أى نجسًا مثل سابقيه..

وجاءت السنة بالمسح على الخفين ولم يرد فى القرآن الكريم، وثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ مسح على الخفين، واختار بعض العلماء أن المسح أفضل من الغسل إحياء للسنة..

***

الفرق بين القرآن والحديث:

القرآن الكريم هو اللفظ العربى المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة الملك جبريل الأمين، المنقول تواترا، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه..

فالقرآن لفظ عربى فإن ترجم فليس قرآنا وإنما هو تفسير، والقرآن نزل به ملك الوحى جبريل عليه السلام على قلب سيدنا محمد ﷺ، وقد حظى القرآن بكل أسباب الحفظ فنقل متواترا جيلا بعد جيل، وسيظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا تسقط منه كلمة ولا يتبدل منه حرف..

وهذا القرآن متعبد بتلاوته، نصلى به ونثاب على قراءته سواء فهمنا المعنى أم لم نفهم، وهو يعجز الثقلين – الجن والإنس – ويتحداهم ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه..

أما الحديث فليس معجزا ولا متعبدا بتلاوته فلا تصح الصلاة به، وأكثر الحديث غير متواتر..

والحديث قسمان: حديث قدسى وحديث نبوى.

ويتميز الحديث القدسى بأن معناه موحى به من الله تعالى إلهاما، والتعبير من النبى ﷺ، وفيه نسبة القول إلى الله تعالى كأن يقال: فيما يرويه عن ربه، أو قال الله تعالى فى الحديث القدسى، ومثاله ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى ذر الغفارى ﷺ، عن رسول الله ﷺ – فيما يرويه عن ربه عز وجل – أنه قال: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**».

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به**».

أما الحديث النبوى فقد يكون إلهاما من الله تعالى لبيان حكم شرعى أو حكمة تشريعية أو خبر من وراء الغيب أو أدب أخلاقى.. والحديث النبوى الملهم هو الغالب والأعم فى الأحاديث النبوية..

وهناك جانب من الحديث النبوى قد يكون اجتهادا من النبى ﷺ فى فهم نصوص القرآن أو فى مواقف الحياة..

وعلى سبيل المثال فقد قال النبى ﷺ للمرأة التى ظاهر منها زوجها: ما أعلمك إلا حرمت عليه، ثم نزل القرآن بحكم جديد للظهار فى صدر سورة المجادلة.

وأثناء الإعداد لغزوة بدر قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل؟، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟!.. قال عليه الصلاة والسلام: بل هو الرأى والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، وأشار هذا الصحابى إلى موقع آخر فقبله الرسول الكريم وقال له: لقد أشرت بالرأى..

***

obeikandl.com